

## التكامل المعرفي وعلاقته بالإصلاح الفكري

### المنطلق من الجامعات

قراءة في إسهامات الدكتور عبد الحميد أبو سليمان

وتجربته في إصلاح التعليم الجامعي

أبو بكر محمد أحمد محمد إبراهيم<sup>(1)</sup>

#### مقدمة

عالج الدكتور عبد الحميد أبو سليمان العلاقة بين المسألة الثقافية وإشكال النهضة العلمية في العالم الإسلامي، من خلال كتابه المشهور "أزمة العقل المسلم"،<sup>(2)</sup> الذي أنجزه خلال عامين من تاريخ تفرغه للعمل مديراً عاماً للمعهد العالمي للفكر الإسلامي<sup>(3)</sup> في أمريكا عام 1984م، بيد أن صدور الكتاب قد تأخر إلى العام 1991م لعلّة ذكرها طه جابر العلواني رئيس المعهد آنذاك، إذ قال: "لقد تأخر صدور هذا الكتاب -منذ ضمت فصوله بعضها إلى بعض- سنين عديدة، طلباً

(1) دكتوراه في التربية من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في العام 2004م. أستاذ مشارك بجامعة زايد-الإمارات. البريد الإلكتروني: imambaker2004@yahoo.com

(2) أبو سليمان، عبد الحميد أحمد. أزمة العقل المسلم، الرياض: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط3، 1994م.

(3) سوف تقتصر الإشارة إليه في هذه الدراسة بالمعهد.

للبرهه المواتية التي تكون قيادات الأمة الفكرية والاجتماعية مهياً فيها للنظر الصادق الصريح، على هذا القدر من العمق والشمول في أحوال الأمة، بعيداً عن الحساسيات والاعتذارات والمصالح الخاصة، وعتمة دروب المآرب السياسية العاجلة. وجاءت رحي الأحداث الجسام [يقصد انهيار الاتحاد السوفيتي] مما جعل إخراج الكتاب وقضاياها الكبرى إلى ساحة الدرس والنظر والحوار أمراً واجباً.<sup>(4)</sup>

وقد شرع الدكتور عبد الحميد بعد توليه إدارة الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا مباشرة في تطوير نموده في تفعيل التعليم الجامعي، وتطبيق رؤيته في الإصلاح الفكري، التي كان قد بسطها في كتابه "أزمة العقل المسلم"، وبعد أن كان قد ضمنها الطبعة العربية لرسالة إسلامية المعرفة التي نشرها المعهد عام 1987م، وهي الرسالة التي تضمنت -حسبما يستفاد من قراءتها مقارنة بكتابات الفاروقي وأبو سليمان- رؤية تجاذبتها هموم التبشير بالإسلام في الغرب (التي انشغل بها الفاروقي)، وهموم تنقية الثقافة الإسلامية، وإصلاح مناهج التفكير، التي ظلت محل اهتمام أصيل عند أبو سليمان.

### أولاً: معالم الإصلاح الفكري المطلوب

إن الإصلاح الذي ينشده أبو سليمان ليس جديداً كل الجدة في الساحة الإسلامية، كما يفهم من الاقتباس السابق عن العلواني في تصديره المنوه به. فأفكار الإصلاح الفكري وتجاربه المنطلقة من الجامعات تعود إلى مدرسة المنار، وجهود الأستاذ محمد عبده والشيخ رشيد رضا في الأزهر الشريف؛ إذ يُعدّ محمد عبده أول مُصلح "ديني" يضع أسساً للأفكار الإصلاحية الحديثة، ولكنه "لم يتقدم بأي اقتراح بشأن منهجية شرعية جديدة، بل تكمن مساهمته في صياغة علم الكلام -أو بالأحرى إعادة إحيائه- بغية هيكله الأفكار الشرعية وإعادة تأهيلها"<sup>(5)</sup>.

(4) أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 16.

(5) حلاق، وائل. تاريخ النظريات الفقهية في الإسلام: مقدمة في أصول الفقه السني، ترجمة: أحمد موصلي، بيروت: المدار الإسلامي، 2007م، ص 275.

ثمة انتقاد وجّهه أبو سليمان لمدرسة المنار، وجهود محمد عبده ورشيد رضا، يكمن في دعوة محمد عبده إلى إدخال "العلوم العصرية" في الأزهر، وهي دعوة متسقة مع اعتراضه على المسلمين في قلقهم المفرط حول الآخرة على حساب حياتهم الدنيوية، فطريقة العيش الفضلى للمسلمين تكمن في متابعة التقدم المادي"، وهي الفكرة التي عمل رضا على إعطائها شكلاً ومضموناً، مستثمراً مفهوم المصلحة في إطار شرعي أسنده إلى المرجعيات العلمية التاريخية بمنهج "انتقائي"، غايته التشديد على الوحي بوصفه مصدراً نهائياً للشريعة دون التقيد بوسيلة القياس التقليدي، فالقياس محدود؛ لذلك فإن الأولى "النظر في المصالح الدنيوية طالما أنها لا تتعارض مع المبادئ الدينية، عندما لا نقف على إجابات كافية في القرآن والسنة عن أسئلة المعاملات المدنية".<sup>(6)</sup>

إن محاولات إدخال العلوم العصرية في مؤسسة التعليم الديني التقليدية إذاً، ومن ثمّ لإصلاح منهجية التشريع في إطار القانون الوضعي، نظر إليها قيادات المعهد على أنها محاولات "تلفيقية" لا تعبر عن متطلبات معالجة الإشكال الفكري الثقافي، الناتج عن إدخال العلوم العصرية في مؤسسات التعليم في البلدان الإسلامية.<sup>(7)</sup> وعلى الرغم من وصف جهود مدرسة المنار بـ"التلفيقية"، فإن مساعي المعهد -خاصة كتابات أبو سليمان وجهوده في الإصلاح الفكري والتربوي- ستظل أمينة لمحاولة تصحيح مسار تلك المدرسة انطلاقاً من القضايا ذاتها، ولكن في إطار رؤية كلية ومبادئ عامة معلنة، لم تنتبه مدرسة المنار لأهمية تحريرها أو التقيد بها؛ إذ نلاحظ حضوراً واضحاً للقضايا المتصلة بالمنهج الأصولي، المتمثلة في إشكال القياس الجزئي، وإعلاء قيمة المقاصد، والعمل على تقديم

(6) المرجع السابق، ص 281.

(7) قمنا بتوثيق العلاقة بين مشروع المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومشروع مدرسة المنار في كتابنا

المنشور عن المعهد في العام 2007م. انظر:

- إبراهيم، أبو بكر محمد أحمد محمد. التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية، واشنطن:

المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2007م، ص 55 إحالة رقم 4.

الشريعة بمنهج لا يستحضر المصطلحات الفنية، التي لا يستوعبها دارسو العلوم الاجتماعية، الذين هم في أمس الحاجة إلى المقاصد والرؤية الإسلامية العقدية الكلية، والدعوة إلى تنقية علوم العقيدة من شوائب الفلسفة الإغريقية، وغيرها من موضوعات ظلت تمثل في ذاتها قاسماً مشتركاً بين مدرستي المنار والمعهد، فضلاً عن قضايا أخرى، مثل: الدعوة إلى إعادة الاعتبار للعقل، ونبذ التقليد. وهناك بُعدٌ في اهتمامات أبو سليمان لا نكاد نجد له أصلاً في كتابات مدرسة المنار، وهو البُعد المتصل بتفهم جذور أزمة الأمة الفكرية، من خلال ربطها بظاهرة انفصام القيادة السياسية عن القيادة الفكرية في التاريخ الإسلامي، التي يؤكد أبو سليمان خطورتها وانعكاساتها السلبية على الحياة الفكرية الإسلامية وعلى الثقافة العامة، تلك الانعكاسات المتمثلة في: عزلة علماء الأمة، وبعدهم عن التفكير في قضايا الواقع، بسبب الاستبداد السياسي الذي أكره العلماء على الابتعاد عن مجالات الحياة العامة، في سلوك أفراد الأمة، مما أدى إلى تباين شديد في سلوكهم.

لقد تأثر الدكتور أبو سليمان بالأفكار التي ناشدت أصالة الفكر الإسلامي؛ إذ نجد في كتابه "النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية: اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية" حضوراً لمحمد البهي من خلال كتابه "الفكر الإسلامي"؛ ومالك ابن نبي من خلال مؤلفه الشهير "وجهة العالم الإسلامي". ويُعدّ كتاب "النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية" -وهو في الأصل أطروحته للدكتوراه- أساساً للأفكار التي جاء على ذكرها في كتابه "أزمة العقل المسلم"، فقد ناقش أبو سليمان في "النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية" إشكالية "التلفيقية" بوصفها مبدأً منهجياً عند محمد عبده ومحمد رشيد رضا، وهو مبدأ "جعل من العسير أن تتعايش الأفكار والنظم والمؤسسات الحديثة مع الشخصية (أو الذات) الإسلامية"،<sup>(8)</sup> فتلك الأفكار والنظم والمؤسسات "لم تتمكن من المضي قدماً في

(8) أبو سليمان، عبد الحميد. النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية: اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية، ترجمة: ناصر البريك، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1993م، ص 140.

اجتياز امتحان الأصول، وهكذا بقيت غريبة وظلت على حضورها ومنوالها تحت ذريعة مبدأ الضرورة. وكان أن استخدم مبدأ التلفيق من أجل خلق علائق وروابط وصلية، لكن ما نتج عنه هو الاستمرارية في غياب الأصالة وانعدام الإبداع في الفكر الإسلامي المعاصر.<sup>(9)</sup>

في هذا السياق يُفهم الفصل الأول من كتاب "أزمة العقل المسلم"، والمعنون بـ"الأصالة الإسلامية المعاصرة هي الحل"<sup>(10)</sup>، الذي يؤكد فيه أبو سليمان عجز الحل الأجنبي الدخيل، وكذا الحل التقليدي التاريخي؛ إذ لا بدّ من الرّهان على "منطلق الأصالة المعاصرة الذي يضم بين دفتيه أمرين لا بدّ من جمعهما، إذا شئنا الإصلاح والتمكن والريادة الإنسانية الحضارية... وهذان الأمران هما: دفع الرؤية العقديّة البناءة من ناحية، والتفوق الفكري الفعّال من ناحية أخرى. كان ذلك في صدر الإسلام بفعل عقيدة الإسلام الصافية في منابعها الأولى، والتفوق الفكري الذي تبسط صفحاته إنجازات رجال الصدر الأول... كذلك كان الحال في نهضة أوروبا المعاصرة، التي جمعت بين دفع الرؤية العقديّة البناءة في حركة الإصلاح (البروتستنتي)، وإصلاح مناهج الفكر الأوربي القاصرة المعوجة، حتى لا تبقى حبيسة المفاهيم الحرفية النصية."<sup>(11)</sup>

والنتيجة التي ينتهي إليها أبو سليمان هي أن الحركة الإسلامية [المعاصرة]، لن ينفعها التأكيد على الجانب العقدي وحده دون تمحيص لأسلوب أدائه، كما أن العلمانيين المستغربين -على مختلف ألوانهم- لن ينفعهم تعلقهم بالقضية الفكرية وحدها، وانبهارهم بإنجازات العصر في مجالها، بل لا بدّ من جمع الطرفين، وضمّ الصفيين لتحقيق مقومات الخلافة وبناء الحضارة، وذلك لا يتم إلا بإعادة الصلة بين الوحي والعقل، أي بإعمال العقل في إدراك الوحي وقضاياها، وهداية العقل

(9) المرجع السابق، ص 146.

(10) أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 37-73.

(11) المرجع السابق، ص 43.

بغايات الوحي الكلية الكونية وقيمه الحياتية والحضارية. وعملية الإصلاح هذه، هي في النهاية عملية فكرية في المنهج والأسلوب،<sup>(12)</sup> غايتها العمل المتكامل بين الإسلامي/العقدي، والعلماني/الفكري.

إن مضمون ذلك التكامل، هو ما عبّر عنه أبو سليمان في كتابه "أزمة العقل المسلم" في ثنايا الفصل الثالث، الموسوم بـ"منهجية الفكر الإسلامي: القواعد والأسس"، وفي الفصلين: الرابع والخامس، المعنونين بـ"المنهج الإسلامي ومتطلبات بناء علوم الحضارة الإسلامية"، و"في مقدمات العلوم الاجتماعية الإسلامية".

إن أول قضية توجّه أبو سليمان إلى معالجتها وبحثها هي قضية الإطار الكلي للمنهجية، التي يدور فيها الفكر الإسلامي، ويتحرك من خلال دائرتها. ويتحدد ذلك الإطار في تكامل بُعدي الغيب والشهادة،<sup>(13)</sup> ذلك أن "مفهوم الغيب والشهادة في الإسلام له أهمية قصوى إذا أردنا فهم طبيعة الفكر الإسلامي ومنهجيته، وفهم معنى الحياة الإسلامية، والوجود الإنساني، والعلاقات والغايات الإنسانية التي يسعى الإسلام والوجود والإصلاح الإسلامي إلى تحقيقها،"<sup>(14)</sup> فالغيب في المفهوم الإسلامي، يمثل إطار الإجابة الإسلامية المرجعية المتعلقة بالأسئلة

(12) المرجع السابق، ص 44. ويجدر أن أنه هنا بأن الدكتور أبو سليمان كثيراً ما يشير في لقاءاته الخاصة، إلى أنه أدرك منذ وقت مبكر -في أثناء بعثته للدراسة بأمريكا- أن جل رجال العمل الإسلامي من المهندسين والأطباء وعلماء الطبيعيات، الذين حسنت تربيتهم، اندفعوا يبشرون بالبعث الإسلامي في هذا العصر، استناداً إلى مفاهيم ومبادئ عامة ينقصها عمق الفكر الاجتماعي التحليلي الواقعي، وأن جل طلاب العلوم الاجتماعية من العرب -خاصة في أمريكا- كانت تتجاذبهم الأفكار الناصرية والقومية فضلاً عن الشيوعية. لذلك اقترح أبو سليمان تأسيس جمعية لعلماء الاجتماع المسلمين بأمريكا لتعمل على إغناء العمل الإسلامي بفكر اجتماعي إسلامي تحليلي واقعي يتدارك ذلك الخلل، ويستقطب طاقات الطلاب المبتعثين إلى أمريكا في تلك المجالات، لتخدم تلك الرؤية الإصلاحية.

(13) أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 109.

(14) المرجع السابق، ص 110.

الفلسفية الكبرى عن أصل الحياة والوجود وغاياتهما، كما يمثل مصدر المعرفة التي ترشد مسيرة الإنسان في حياته الدنيا؛ تحقيقاً للغاية من وجوده، ولمهمة الاستخلاف على أساس من مبادئ الإصلاح والإعمار وفق الفطرة والسنن.

أمّا القضية المنهجية الثانية التي يُفرد لها الدكتور أبو سليمان حيزاً من النقاش المطول، هي قضية مصادر الفكر والمنهجية الإسلامية، التي لا تنتكر للوحي مصدرراً للمعرفة بجانب مصدرية الكون المشاهد؛ فالإسلام يُقرُّ الدور الأصيل للعقل بوصفه أداة للإدراك والفهم والنظر والتلقي والتمييز والموازنة. يقول أبو سليمان: "في الرؤية الإسلامية الصحيحة، والمنهجية الإسلامية الصحيحة، لا مجال للانحراف باسم العقل، ولا للانحراف باسم الدين، ولا مجال للاستبداد باسم العقل تجاهلاً لغايات الوحي ومقاصده وتوجيهاته، ولا مجال للاستبداد باسم الدين والقداستات للاستبداد بتصريف شؤون الأمة، وتجاوز مشورتها، وتخطي قناعتها ودعمها من منطلق جهل الأمة، فالجهل لا يزيله إلا نور العلم، وضعف القدرة وتهلhel التنظيم لا يزيله إلا تنمية القدرة، وحبك التنظيم، وليس أمام الفكر المسلم والعقل المسلم إلا أن يؤدي دوره ومسؤوليته في تبصير الأمة بأسباب معاناتها وقصورها وتدهورها وتخبطها فيما مضى من العصور والقرون". فإذا شاءت الأمة أن تستعيد وضوح هويتها وعطاء فكرها وقدرتها، فلا مجال للحجر والوصاية الغاشمة على العقل المسلم في جهوده الأصيلة، للاستنباط والاستقراء والنظر والتدقيق والتجريب والفهم وإدراك وجه التوجيه والمصلحة في النفوس والمجتمعات، في ضوء توجهات الوحي وفهم شريعته على شاكلة حية قديمة خيرة، تطلب تحقيق مقاصد الشريعة وإقامة مجتمع الخلافة".<sup>(15)</sup>

بعد أن عالج الدكتور أبو سليمان قضية مصادر المعرفة، جاء على ذكر عدد من المنطلقات الأساسية للمنهجية الإسلامية والفكر الإسلامي، فحددها في ثلاثة منطلقات هي: منطلق الوحدانية، ومنطلق الاستخلاف، ومنطلق المسؤولية

(15) المرجع السابق، ص 121.

الأخلاقية، "فهذه المنطلقات الثلاثة تشكل الخطوط الأساسية للعقل المسلم، وأي خارطة لا تنطلق من هذه المنطلقات لا تجد في الضمير المسلم والإرادة المسلمة طاقة للحركة ولا مبرراً للإنجاز." (16)

تلك المنطلقات الثلاثة هي ذاتها المعبر عنها في رسالة إسلامية المعرفة تحت عنوان "المبادئ الأساسية للمنهجية الإسلامية"، (17) ولكنها في كتاب "أزمة العقل المسلم" أكثر تعبيراً عن الدلالات التي يراها الدكتور أبو سليمان لتلك المبادئ، التي سيعيد ذكرها مجدداً في كتابه "الرؤية الكونية الحضارية القرآنية"، (18) فيوضح -مستشهداً بآيات قرآنية عديدة- ما يمثله التوحيد لدى المسلم؛ إذ إن التوحيد هو المبدأ الأساس في رؤية المسلم الكونية، بوصفه إجابة فطرية سوية للبُعد الروحي في فهم ذاته مبتدأ ومآلاً، ولفهم أبعاد الحياة والوجود وما وراء الحياة والوجود. وهكذا يفهم مبدأ الاستخلاف على أساس أنه تكليف رباني قرآني له أساس في فطرة الإنسان. أمّا مبدأ المسؤولية الأخلاقية، فقد تمت معالجته في كتاب "الرؤية الكونية الحضارية القرآنية"، بعد مناقشة مبادئ فرعية أخرى مثل "العدل والاعتدال والحرية"، في حين تأخر ذكر "الغائية" في هذا الكتاب، مع أن هذا المفهوم من المفاهيم الموجهة لفهم الحرية والاستخلاف والمسؤولية والجزاء. كما ظهرت بعض المفاهيم الأخرى مثل الشورى والحرية والأخلاقية بوصفها مبادئ للرؤية القرآنية الكونية، (19) في حين حددت المفاهيم الأساسية للمنهجية الإسلامية في كتاب "أزمة العقل المسلم" في "غائية الخلق والوجود"، و"موضوعية الحقيقة"، و"حرية القرار والإرادة: عقيدة وفكراً وأداءً اجتماعياً".

(16) المرجع السابق، ص 127.

(17) المعهد العالمي للفكر الإسلامي. إسلامية المعرفة: المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1986م، ص 57-117.

(18) انظر: أبو سليمان، عبد الحميد، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، المنطلق الأساسي للإصلاح الإنساني، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام، للطباعة والنشر، ط 1، 2009م.

(19) المرجع السابق، ص 115-186.

إن قراءة كتاب "أزمة العقل المسلم" في ضوء رسالة إسلامية المعرفة المنشورة في العام 1986م، وكتاب "الرؤية الكونية الحضارية القرآنية"، تبرز عندنا اضطراباً وتداخلاً في المعاني والدلالات بين مجالي المبادئ والمفاهيم، وهو اضطرابٌ ما كان له أن يقع إذا توافر لتلك الكتب الثلاثة تحرير علمي منضبط. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه من المفيد التنويه بأن كتاب "أزمة العقل المسلم" قد اشتمل على مجمل آراء أبو سليمان عن المشروع الذي يضطلع به المعهد، ومنظومة المؤسسات التي ارتبطت به، وأن الكتابات اللاحقة لأبو سليمان، التي اشتملت عليها محاضراته وبحوثه وكتبه المنشورة ما هي إلا توسعة وشروح لتلك الآراء الأهميات؛ إذ تضمن كتاب "أزمة الإرادة والوجدان المسلم" توسعة في شرح الفكرة التي عبّر عنها المؤلف ضمن المبحث المعنون بـ"في مقدمات العلوم الاجتماعية" من كتابه "أزمة العقل المسلم"، فقد نوّه أبو سليمان في كتابه هذا بأولوية العلوم السلوكية (علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان)، وأهمية البدء بإسلامية مجالها وتقديم قضاياها من منظور إسلامي؛ لأن "جهود إسلامية مختلف العلوم الاجتماعية إنما تتوقف على سلامة فهم الباحثين بشأن الفطرة والطبيعة الإنسانية، وحركية العلاقات الإنسانية، وهذه إنما تتم في مجال العلوم السلوكية، فإسلاميتها خطوة أولى أساسية لإسلامية العلوم الاجتماعية الأخرى".<sup>(20)</sup>

يؤكد أبو سليمان إذاً على أن إصلاح العلوم الاجتماعية التطبيقية كالاقتصاد والإعلام مطلوب، ولا يمكن للحياة الإسلامية أن تستقيم دون بنائهما من منظور إسلامي، ولكن أيّ جهد يبذل في مجالهما (أي الاقتصاد والإعلام) لن يستطيع المجتمع المسلم أن يجني ثماره، ما لم تستقم تربية الفرد المسلم، وتستقم نشأته

---

(20) أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 188. مما يذكر هنا أن تلك المجالات لم تعط لها عند التطبيق هذه الأهمية التي يتحدث عنها أبو سليمان، بل عول في تجربته بالجامعة الإسلامية العالمية على النشاطات والبرامج الطلابية اللاصفية.

وتكوينه النفسي.<sup>(21)</sup> ولما كان الخطاب التربوي التوجيهي إلى الصغير مرتبطاً عند أبو سليمان بعملية التكوين والبناء النفسي،<sup>(22)</sup> فإنه من الطبيعي أن تحتل قضية الطفولة والوالدية والأسرة عنده حيزاً أكبر في مؤلفه "أزمة الإرادة والوجدان المسلم"، وهي القضية التي احتلت كذلك -وقبل تأليف ذلك الكتاب- موضعاً بارزاً في النموذج الذي عمل على تطبيقه في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

أما كتاب "الرؤية الكونية الحضارية القرآنية"، فإنه في مجمله يحتوي على موضوعات جاء ذكرها في كتاب "أزمة العقل المسلم"، الأمر الذي يعني أن المناسبات العلمية التي شارك فيها الدكتور أبو سليمان اقتضت أن يقوم بنوع من التواصل مع قضايا كتابه "أزمة العقل المسلم"، وتأصيلها تأصيلاً يقربها من أذهان المشاركين في ندوات المعهد ودوراته التدريسية، ثم رأى الدكتور أبو سليمان ضرورة إعادة تنظيمها وتبويبها وأهمية نشرها المستقل، فظهرت تلك الموضوعات مرة أخرى في الكتابين المذكورين.

### ثانياً: معارف الوحي ومهمة نقد التراث وبناء العلوم الاجتماعية إسلامياً

إن ترجمة الرؤية الإسلامية الكونية (رؤية العالم الإسلامية) في البرامج التعليمية، وإشباع المعرفة في كل مجالاتها بتلك الرؤية هي مسألة معرفية وفنية؛ إذ تقتضي -ضمن ما تقتضيه- الوعي بالمفاهيم الإسلامية الجوهرية، وبمباحث العلوم الإسلامية، التي ينبغي أن تمثل القاعدة المعرفية الأساسية في النظام التعليمي أياً كان مستواه.<sup>(23)</sup>

(21) أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 189.

(22) المرجع السابق، ص 192-198.

(23) اضطر الباحث في هذه الصفحات، وبسبب طبيعة التحليل الحالي، لاسترجاع ما كان قد ذكره في صفحات من بحثه في:

- إبراهيم، أبو بكر محمد أحمد. "الرؤية الإسلامية للعالم ومسارات تفعيلها في التعليم الجامعي: دراسة تحليلية مع التركيز على التجربة الماليزية"، مجلة التجديد، مركز البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2009م، مج 13، ع 25، ص 28-40.

ويبدو بعد التدقيق في تجربة إسلامية التعليم بالجامعات، التي كان لدولة ماليزيا شرف تيسير مقومات أساسية في إنضاجها منذ ثمانينات القرن المنصرم، أن المسار الذي سلكه الدكتور عبد الحميد أبو سليمان لتفعيل الرؤية الإسلامية في المناهج الجامعية، قد اقتضى تعديلات جوهرية في مسار التجربة التي ورثها عن الدكتور محمد عبد الرؤوف؛ المدير المؤسس للجامعة الإسلامية العالمية، الذي ظل -فيما يبدو- يعمل وفقاً لرؤية الإصلاح المُعبّر عنها في الورقة المرجعية (the concept paper)، التي تأسست عليها تلك الجامعة في عام 1983م؛ إذ رغب في استحضار نموذج جامعة "الأزهر"، وتأسيس كلية للدراسات الإسلامية، ولكنه لم يجد مساندة. أو تشجيعاً على المضيّ بالأمر.<sup>(24)</sup>

وبناء عليه، فإن الخطة الأصلية للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، لم تتضمن وجود تخصص للدراسات الإسلامية، بحيث تُمنح في إطاره درجة علمية جامعية، بل كان الاتجاه يومها معنياً بربط التخصصات التطبيقية بالمنظور الإسلامي، من منطلق أن الجامعة بذلك سوف تسهم في تنمية البلدان الإسلامية. وقد بدأت الجامعة بالفعل بكليتين تطبيقيتين؛ إحداهما للاقتصاد والأخرى للقانون، ويقوم على خدمتهما مركز عُرف بمركز المعرفة الأساسية (Center for Fundamental Knowledge)، يشرف على تدريس مقررات في مجال الدراسات الإسلامية لكل الطلاب، فضلاً عن أنشطة تربوية ذات طبيعة غير أكاديمية، تستهدف تنمية الحس الديني لدى الدارسين. وبذلك فإن المعرفة الأساسية التي ظل المركز يقدمها منذ افتتاح الجامعة وإلى عام 1990م، تُرجمت في عددٍ من المقررات، تناولت مقدمات عامة في مجال الدراسات الإسلامية، مثل: مقدمة في: الإسلام والعبادات، وفي القرآن، وفي السنة، وفي الشريعة، وفي فقه العبادات، وفي الفلسفة الأخلاقية في الإسلام، وفي مبادئ الإسلام، وفي الحضارة الإسلامية، وفي التاريخ الإسلامي، وفي الإسلام والمجتمع، وفي الفكر الإسلامي والقضايا المعاصرة.

(24) للاستزادة حول هذه القضية، ينظر:

- إبراهيم، الرؤية الإسلامية للعالم ومسارات تفعيلها في التعليم الجامعي: دراسة تحليلية للتجربة الماليزية، مرجع سابق، مج 13، ع 25، ص 28-40.

ولنا أن نتساءل: هل مثلت تلك المقررات -بالفعل- القاعدة الإسلامية التي يجب بناء التعليم الجامعي المعاصر على أساسها؟ وهو سؤال في الواقع لا نثيره بغرض تقويم تجربة انتهى العمل بها في تلك الجامعة منذ أن نُفذ مقترح الكلية الجديدة عام 1990م، فالقصد هو أن نثير السؤال بحثاً عن المقررات الدراسية التي تشكل العلوم الإسلامية القاعدية، التي يمكن أن تمثل القاعدة لكل العلوم في هذا المستوى من التعليم الجامعي.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الطريقة التي كانت تُدار بها فكرة تفعيل المنظور الإسلامي في العلوم الاجتماعية/ التطبيقية، من خلال تخصص مركز لخدمة تلك الفكرة، يمكن أن تُعدّ مساراً من بين المسارات التي سلكتها التجربة الإسلامية المعاصرة في محاولتها تجاوز أزمة معرفية شائكة، وهو مسارٌ وإجراء له حسناته وسلبياته. فمن حسناته أنه يوفر للدارس في مجال العلوم الاجتماعية التطبيقية خلفية مناسبة في العلوم الإسلامية، بحيث من المتوقع أن يعينه ذلك القدر من العلم على الانفتاح على مصطلح العلم الشرعي ومفهومه ومناهجه، ومن دون أن تكون هناك حاجة إلى تقديم العلوم الإسلامية (الشرعية) بوصفها مجالاً للتخصص المستقل، إذا نُظر إلى المسألة من زاوية أثر المادة العلمية في الطالب.

ولكننا إذا نظرنا إلى ذلك الإجراء، من زاوية دور الأستاذ الجامعي في تفعيل المنظور الإسلامي في العلوم الاجتماعية، سنجد أن تخصيص مركز لتدريس تلك العلوم الإسلامية تحت إشراف إدارة مستقلة، قد لا يسمح لأساتذة العلوم الإسلامية بالاحتكاك المباشر مع أساتذة من مجالات العلوم الاجتماعية التطبيقية الأخرى، في لقاءات وحوارات علمية حقيقية، يُتوقع أن تفيد كلا الطرفين، إذا كانت البيئة بالفعل بيئة علمية منفتحة. وهو -فيما يبدو- المسار الذي سلكته الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا منذ عام 1990م، من خلال إنشاء كلية لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية؛ إذ إن تأسيس هذه الكلية يمثل في حد ذاته تحولاً كبيراً في الإدارة العلمية للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بصفة عامة، وفي إدارة فكرة

التكامل المعرفي على وجه الخصوص، من خلال كلية بدأ يُنظر إليها منذ تأسيسها على أنها جوهر التجربة، ووجه التميز في هذه الجامعة، لكونها تنطلق من مبدأ وحدة المعرفة في مصادرها الإلهية والإنسانية؛ فالطالب يدرس معارف الوحي والعلوم الإنسانية معاً وفي آنٍ واحد؛ لأنه " لا يمكننا أن ندرك حقيقة دلالات التوجه والهدي من دون معرفة الطبائع، والوقائع في الإنسان وفي الكائنات، كما أنه لا يمكننا الإسهام في العمل على هداية الحياة الإنسانية، وممارستها، وتسخيرها، ورعايتها للكون والكائنات إلا إذا اهتدت هي ذاتها بقيم الشريعة، ومقاصدها، ومبادئها الكلية الصادرة عن الخالق الحكيم العليم، فالإنسان في كلياته وغاية وجوده ومصيره وأسس بناء حياته في حاجة دائمة إلى دليل يرشد حياته." (25)

ومما لا شك فيه أن ثمة تبسيطاً مخلاً إذا تصورنا أن العلوم الاجتماعية المعاصرة قادرة على أن تبصرنا، ومن خلال مضامينها التي ألبستها إياها الحضارة الغربية، معرفة صحيحة عن الطبائع وفهم السلوك الإنساني الذي يعين على دراسة الواقع والظواهر الاجتماعية، والحكم ذاته ينصرف إلى العلوم الشرعية والدينية التي تتيحها النظرة التقليدية، فهي كذلك لا تفي بمتطلبات الاستجابة لهموم العصر، ما لم يتم تجديد منهجها، وإعادة فهم مبادئها في إطار رؤية كلية أصولية قادرة على معالجة القضايا العامة.

ونكتفي - لأغراض هذه الدراسة - بالتعليق على الآلية والإجراء التنظيمي في نموذج الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الذي اتبع في ترجمة فكرة التكامل المعرفي بين العلوم التي تُعبر عن الرؤية العقديّة الإسلامية والمقاصد الشرعية العليا، والعلوم التي تفيد الاستخلاف والعمران والإصلاح. وقد يكون من المفيد القول بأن تلك الفكرة كانت حاضرة منذ تأسيس الجامعة، فهي لم تبتكر مع ولادة كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، غير أن إيماءاتها قد تغيرت؛ فلم تعد الأهداف مصوبة فقط لتنمية الحس الديني لدى الدارسين، الذين يُرجى أن

(25) هذا الاقتباس يمثل جانباً من مقابلة مطولة لنا مع الدكتور عبد الحميد أبو سليمان قمنا بتحليلها في: - إبراهيم، التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية، مرجع سابق، ص 98 وما بعدها.

يُعينهم التدريب الأكاديمي والإعداد التربوي الذي يتلقونه في هذه الجامعة - في المجالات التطبيقية يومها - في العمل على تنمية بلدانهم؛ بالتنمية والعاطفة الدينية كلتاهما في حاجة إلى ضبط حتى يكون السلوك راشداً ومؤسساً على علم صحيح.

لقد تصور القائمون على تخطيط المناهج في هذه الجامعة، ووفق تلك الفلسفة، أن ترجمة عملية الضبط المشار إليها تقتضي رفق كل مجالات المعرفة التي تقدمها الجامعة في قطاعاتها المختلفة: في العلوم الاجتماعية والطب والهندسة والعلوم التقنية، بمقررات دراسية أو مساقات تخدم فهم الوحي وتوثيقه وضبطه. وهي مقررات تهدف إلى توعية أصحاب كل اختصاص - سواء أكان اجتماعياً أم إنسانياً أم مادياً - بالمقاصد والمفاهيم والمبادئ والقيم والتصورات والضوابط الكلية اللازمة لكل مجال وكل فرد، وهذه المنظومة المتكاملة من المقررات، هي بحوزاتها من لوازم الإنتاج العلمي الحضاري الراشد.

وإذا كان الأمر كذلك، فما تلك المقررات الدراسية التي تُعبّر عن مضمون تلك المنظومة المهمة؟

وإذا نظرنا إلى خارطة الخطة الدراسية لكليات الجامعة المختلفة، سنجد نوعين من هذه المقررات القاعدية اللازمة التي يمكن تحليلها والتعليق عليها من خلال فئتين من المقررات. تفوق الفئة الأولى إلى التخصص في مجال معارف الوحي والتراث (هذا بالنسبة إلى طلاب العلوم الإنسانية). والثانية مقررات عامة هي متطلبات جامعية في مختلف كليات الجامعة. ولأغراض التحليل والتقييم الشامل لتجربة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية، يستحسن أن نقدّم تصوراً مجملاً عن علاقة التخصص المزدوج بتطبيق التكامل المعرفي المشار إلى مضمونه في كتابات عبد الحميد أبو سليمان، وعن السياسات التي اتبعت لتصميم وتطبيق النموذج الذي تأسست من أجله الكلية.<sup>(26)</sup>

(26) حول هذا الموضوع للاستزادة والتفصيل، انظر:

- إبراهيم، التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية، مرجع سابق، الفصل الخامس.

## ثالثاً: التخصص المزدوج والتكامل المعرفي

اعتماداً على السياسات التعليمية التي تبنتها كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية، فإن الدرجة العلمية في الكلية تقوم على أساس نظام التخصص المزدوج. ووفقاً لهذا النظام، فإن أي طالب يكون تخصصه الرئيس هو معارف الوحي والتراث، عليه أن يختار تخصصاً فرعياً في أحد العلوم الإنسانية، وأي طالب يكون تخصصه أحد العلوم الإنسانية، يكون معارف الوحي والتراث تخصصه الفرعي.

وللحصول على الدرجة الجامعية الأولى (البكالوريوس)، في كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية، يتطلب ذلك إكمال ما لا يقل عن (130) ساعة معتمدة تم توزيعها على النحو الآتي:

- (72) ساعة معتمدة على الأقل في التخصص الأساس والمقررات المساعدة.

- (27) ساعة معتمدة على الأقل في التخصص الفرعي، فالطالب الذي لا يختار معارف الوحي والتراث تخصصاً أساساً يلزمه أن يتخذها تخصصاً فرعياً.

- (22) ساعة معتمدة على الأقل في اللغات، التي تُعدّ من متطلبات الكلية. (27)

---

(27) لقد تمت بعض التعديلات في عدد ساعات الكلية للدرجة العلمية وتغيرات موازية في الساعات المحددة لكل نوع من المتطلبات المذكورة، وسترد الإشارة لها ويمكن الرجوع إلى ذلك في الوثائق الآتية:

- International Islamic University, *Catalogue 1990/ 91*.
- International Islamic University, *Undergraduate prospectus 1993/ 94*.
- *Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences: Departments of Islamic Revealed Knowledge and heritage – Undergraduate Handbook 1996/97*.
- International Islamic University, *Undergraduate prospectus 1999/ 2000*.

- للطالب الحرية في اختيار (9) ساعات معتمدة من مقررات أقسام الكلية، والكليات الأخرى.

وقد صُمم برنامج كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية وفق بنية تسمح للطالب أن يحول ما لا يزيد على (100) ساعة معتمدة من برنامج درجته الجامعية الأولى للحصول على بكالوريوس ثانٍ خلال سنة دراسية خامسة بالكلية؛ إذ يُكمل فيها الطالب دراسة ما لا يقل عن (30) ساعة معتمدة، يستوفي بها متطلبات درجة البكالوريوس في التخصص الثاني، وبذلك يمكن للراغبين من طلاب الكلية الحصول على شهادتي بكالوريوس (Double Degree) خلال خمسة أعوام دراسية فقط. ومنذ العام الدراسي 2000م-2001م، شرعت الجامعة في السماح للطلاب بالتسجيل لدرجتين جامعتين في آنٍ واحد (Simultaneous Double Degree).<sup>(28)</sup>

ومن وجهة نظر أبو سليمان، فإن سياسة التخصص المزدوج في كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية قد اقتضتها فلسفة التكامل المعرفي التي تبنتها الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، فـ "حجر الزاوية في النظام الأكاديمي لهذه الكلية لتحقيق وحدة المعرفة الإسلامية، وإصلاح مناهج الفكر، وإيجاد الكوادر الثقافية القيادية والمهنية البديلة، هو نظام التخصص المزدوج عن طريق نظام الساعات المعتمدة."<sup>(29)</sup>

---

(28) فقد أجاز مجلس الجامعة مقترح الدراسة لدرجتين جامعتين في وقت واحد في اجتماعه بتاريخ 9 مارس / 2000م، انظر:

- Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, *The Minutes of Islamization and Curriculum Committee Meeting No. 1/ 2000.*

(29) أبو سليمان، "إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق: الجامعة الإسلامية العالمية نموذجاً"، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ع26، شتاء 2001م، ص129-130.

وقد توقع مصممو مناهج الكلية أن يُوفر التخصص المزدوج الآتي: (30)

1 - أفقاً معرفياً واسعاً متكاملًا في توجيهات الطالب وأدائه، يعينه على الإدراك الأفضل لأبعاد الحياة الإنسانية الروحية، والأخلاقية، والاجتماعية.

2 - تكاملاً منهجياً في الدراسات الإسلامية والاجتماعية، تحققه وسائل علمية مختلفة، وهي وسائل تُعين على تكامل البناء العقلي، الذي يمكن الطالب في المستقبل من الأداء الراشد.

3 - مجالاً وظيفياً يفيد من طاقات الطالب ويحفظ له كرامته، خاصة لدى طلاب الأقليات المسلمة، وطلاب البلاد الإسلامية الفقيرة، التي تقل فيها فرص العمل في مجال الخدمة الدينية؛ إذ يمكن للخريج أن يعمل - بمؤهله في العلوم الإنسانية إلى جانب إجادته للغة الإنجليزية التي درس بها المواد الفنية، واللغة العربية التي درس بها الدراسات الإسلامية - في أي مجال مدني مناسب يرغب فيه. (31)

واضح أن تلك الأهداف يتداخل فيها مستويان؛ مستوى علمي معرفي يهدف إلى تربية علمية متميزة في غاياتها ومنهجيتها، ومستوى آخر عملي (برجماتي) أدائي، يتعلق بمستقبل توظيف خريجي العلوم الإسلامية، خاصة في ظل المحاصرة التي ضربت على هذا التخصص في العقود الماضية، بعد أن استحدث نظام التعليم المدني في البلدان الإسلامية. وإذا كان الأمر كذلك، فإن ذلك التباين في مستويات الأهداف المنشودة من تحقيق فكرة التكامل المعرفي، وترجمتها من خلال التخصص المزدوج، قد أضعف مضمون مكون معارف الوحي والتراث.

(30) ينظر في ذلك الأوراق البحثية الآتية:

- Hassan, M. Kamal: *IIU Model Of Islamic Studies: The Case of The New Kulliyah Of Islamic Revealed Knowledge And Human Sciences*, p. 123.

- أبو سليمان، إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق: الجامعة الإسلامية العالمية نموذجاً، مرجع سابق، ص 130.

(31) ينظر في ذلك المرجع السابق، ص 130.

فبدلاً من النظر إلى هذا المكون على أساس أنه يمثل القاعدة المعرفية الإسلامية للعلوم الاجتماعية والإنسانية المختلفة؛ إذ يقتضي ذلك بناء المقررات الدراسية المشتركة بناءً يترجم المقاصد العالية والمفاهيم والمبادئ الإسلامية الأساسية، على نحو يُقربها لدارسي العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، وجدنا جُلَّ اهتمام التجربة خلال سنواتها الماضية قد انصرف إلى تحديد مكون معارف الوحي بناءً على المقررات الدراسية، التي تمثل متطلبات التخصص في الدراسات الإسلامية. ولم يتبهِ القائمون على التجربة إلى أن مسألة التخصص في الدراسات الإسلامية تتطلب من الناحية الفنية ترتيباً يختلف اختلافاً كبيراً عن الترتيب الذي يقتضيه تخطيط مكون معارف الوحي، بوصفه يُعبّر عن القاعدة المعرفية الإسلامية في مجال العلوم الاجتماعية.

وقد لا يتسع المقام لتأكيد ما ذهبنا إليه بعدد من الشواهد المطولة، ولكن لا بدّ من الإشارة المركزة إلى ما يعزز وجهة نظرنا هذه، فالجهد الذي بُذل في تخطيط المنهج الدراسي، خلال أول عامين لقسم معارف الوحي والتراث الإسلامي، تبلور يومها في اختزال التخصصات الإسلامية والشرعية المعروفة في كثير من الجامعات الإسلامية إلى جملة من الساعات الدراسية، تُكوّن معاً مجموعة معارف، تُشكّل وضعاً جديداً لتلك التخصصات، ضمن إطار عام هو "معارف الوحي والتراث الإسلامي"، إلا أن هذا الجهد تطلّب من إدارة الكلية المراجعة والتحسين حتى يؤدي الغرض المطلوب منه، ويرجع السبب في ذلك إلى أن تلك التجربة هي الأولى في الجامعات الإسلامية عموماً، التي تم فيها تصميم المناهج الجامعية في مجال الدراسات الإسلامية، وفقاً لفلسفة التخصص المزدوج، الذي ارتبط بفكرة التكامل المعرفي المنشود بين العلوم الإسلامية والإنسانية.

لقد أحدثت الكلية -مع نهاية عامها الدراسي الثاني في عام 1992م- نوعاً من الموازنة بين قضية التخصص والتركيز في مجال من مجالات العلوم الإسلامية

من جهة، وفلسفة التكامل المعرفي التي تتبناها الكلية من جهة أخرى، بحيث لا يحدث ميل لجانب على حساب الآخر، وقد ظهر ذلك في بعض الترتيبات التي استحدثت في مخطط الدرجة الجامعية في معارف الوحي والتراث للعام الدراسي 1992-1993م، وفي الأعوام التالية له. ومن أهم تلك الترتيبات استحداث جذع مشترك احتوى على 36 ساعة معتمدة (قلصت في العام الدراسي 1995-1996م إلى 33).<sup>(32)</sup>

أمّا قضية التخصص فقد تمت معالجتها بإنشاء مجالات داخل معارف الوحي والتراث؛ إذ يختار الطالب واحداً منها ليكون مجالاً لتخصصه، وتلك المجالات هي: التفسير، والحديث، والفقه والأصول، والعقيدة وعلم الكلام، والدعوة.<sup>(33)</sup> وتبعاً لذلك ظهرت الحاجة إلى ترتيبات إدارية موازية تستوعب تطوير برامج دراسية منفصلة ضمن إطار "معارف الوحي والتراث"؛ فأُنشئت أربع وحدات هي: الحضارة والفكر الإسلامي المعاصر، وأصول الدين ومقارنة الأديان، والتفسير والحديث، والفقه وأصول الفقه، ولكل وحدة منسق خاص بها، ويرأس هذه الوحدات الأربع رئيس قسم معارف الوحي والتراث.

وفي تلك السنوات نفسها بدأ يُسمح للطالب بقدر من الحرية في اختيار مواد من كليات أخرى، وهو استدراك إداري يقوم على أساس أن العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية هي علوم إنسانية كذلك، وإن تم أفرادها بكليات مستقلة لأسباب مهنية خالصة.<sup>(34)</sup> وبناءً على ذلك فقد تم وضع سياسات تعليمية تتيح للطالب دراسة جانب من العلوم التي تقدمها تلك الكليات، ليصل المواد التي يدرسها الطالب في مجال تخصصه بما تقدمه كليتا الاقتصاد والقانون (الكليات الاجتماعية بالجامعة) من مواد لها صلة بتخصصه الرئيس. وفي تلك الفترة بدأت

(32) International Islamic University Malaysia, *Undergraduate Prospectus 1994/95*, p. 140.

(33) International Islamic University, *Undergraduate prospectus 1993/ 94*, p. 74.

(34) أبو سليمان، إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق: الجامعة الإسلامية العالمية نموذجاً، مرجع سابق، ص 131.

معالم تخصصات علوم الشريعة تظهر، ولكن بتواضع. ويبدو أن الجهود الإدارية في تلك الفترة لم تنصرف إلى معالجة قضية التخصص في المقام الأول، فالهدف من استحداث مجالات التركيز يتمثل في ضرورة إعداد الطالب للدراسة العليا في واحد من تلك المجالات. ولم تمض سنوات قليلة حتى بدأ قسم معارف الوحي الإسلامي والتراث يسرع خطاه نحو التقسيم الإداري، وتمييز تخصصاته بشكل أوضح؛ ذلك لأن القسم أصبح مع حلول عام 1996م أكبر أقسام الجامعة على الإطلاق، بل صار أكبر من بعض الكليات في الجامعة، مثل كلية القانون، والاقتصاد والهندسة.<sup>(35)</sup> وقد اقتضى هذا التوسع اتخاذ تدابير إدارية وأكاديمية تجعل إدارة القسم أمراً ممكناً، وبكيفية تحافظ على إطار معارف الوحي والتراث. ومع نهاية شهر نوفمبر 1996م انشطر قسم معارف الوحي والتراث إلى أربعة أقسام هي: الدراسات القرآنية والحديثية، وأصول الدين ومقارنة الأديان، والفقه وأصول الفقه، والدراسات العامة. وقد ذكر الدكتور جمال برزنجي،<sup>(36)</sup> العميد المكلف حينها، الأسباب الموجبة لذلك التقسيم؛ وأهمها:

أ - تخفيف [إدارة] العبء الأكاديمي الذي كان يضطلع به هذا القسم، وذلك بحذف المقررات التي تمثل متطلبات الجامعة من قسم معارف الوحي والتراث.

ب - معالجة قضية التخصص في مجال من مجالات العلوم الإسلامية.

وتأسيساً على هذه الرؤية لقضيتي متطلبات الجامعة والتخصص، تم إنشاء قسم الدراسات العامة؛ ليضطلع بمهمة إدارة تدريس مقررات اختيارية، يشترك في دراستها كل الطلاب على مستوى الكلية والجامعة. فإلى جانب المقررات التي

(35) International Islamic University Malaysia, *Majlis Meeting No. 64: Statistics on Progress and Achievement of the International Islamic University Malaysia*, (Gombak, October 22, 2003), p.19.

(36) Postgraduate Committee of Islamic Revealed Knowledge and Heritage, An Interview with Prof. Dr. Jamal Muhammad al-Barazniji, *Reflections*, internal Circulation, *Kuliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences*, International Islamic University Malaysia, Vol. 2. No. 1, (December 1996, Malaysia), p. 7.

كانت شبيهة بفكرة مقررات المعرفة الأساسية التي كانت عليها التجربة قبل عام 1990م، أضيفت مقررات جديدة إلى قسم الدراسات العامة المستحدث؛ ومن أهمها: التفكير الإبداعي، والرؤية الإسلامية الكونية، والتربية الوالدية، ومقررات في أساسيات معرفة الحاسوب، ومناهج البحث. أمّا قضية التخصص في الدراسات الإسلامية، فقد تُركت للأقسام الثلاثة الأخرى.

وربما نتفهم اليوم -وبعد كل هذه السنوات- وجهة اعتراض بعض أعضاء اللجنة الموحدة التي تدارست فكرة التقسيم؛ إذ كان رأيهم يشير إلى أن التقسيم قد يفضي إلى "أقسام يقبع في داخلها أصحاب كل صنعة مكثفين بما عندهم، حريصين عليه، فتتعدم عندهم الرغبة في مدّ جسور التواصل مع أقرانهم في مجال العلوم الشرعية. وقد كرس عصور الانحطاط هذه العقلية التجزيئية، التي لا تميز بين الكل والجزء، وتغرق في تفاصيل الأجزاء دون أن تعي موقع هذه الأجزاء من الصورة الكلية." (37) وقد لاحظ أحد أعضاء هيئة التدريس، الذين عملوا في هذه الكلية عدة سنوات أن بيئة التدريس ظلت مشحونة بـ"فخر هؤلاء بانتسابهم إلى العلوم الشرعية"، و"فخر أولئك بانتسابهم إلى علوم الإنسان"؛ إذ يدعي هؤلاء فهم النص، ويدعي أولئك فهم الواقع. "والحقيقة أن القضايا التي يخوض فيها هؤلاء قضايا تاريخية مستأنفة، والقضايا التي يخوض فيها أولئك قضايا نظرية معلقة، ولا علاقة لهؤلاء ولا لأولئك بالواقع الذي يفرض نفسه على الجميع". ويتتقد ابن نصر تغيب فكرة الانطلاق من أرضية فلسفية جامعة، التي تقتضي إحكام عملية التربية العلمية عليها، حتى تصبح ملكة يصدر عنها العاملون في مجالات البحث والتدريس سواء بوعي أو من غير وعي، فالحوار بين مجموعات من أساتذة أقسام شرعية واجتماعية تكون مجالات اهتماماتها متباينة، ومن دون إحكام هذا الحوار بتلك القاعدة الفلسفية الجامعة، لن يصل إلى نهايته ولن يحقق غايته؛ لأن الحوار عندها سيكتفي بأهداف محددة تتعلق بتحقيق ما سماه بعضهم "التأصيل

(37) زين، إبراهيم محمد. "تدريس الفقه وأصوله من منظور معارف الوحي والتراث"، مجلة تفكير، معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة، ود مدني- السودان، س1، ع1، 1999م، ص135-136.

الذاتي لكل فرع من فروع المعرفة"، وقد ينتهي ذلك التوجيه إلى نوع من الفتور العلمي.<sup>(38)</sup>

#### رابعاً: السياسات المعززة لإنجاح عملية التكامل المعرفي في الجامعة

إضافة إلى مبدأ التخصص المزدوج، الذي نظر إليه في نموذج كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية، على أساس أنه الأسلوب الأمثل للتعبير عن فكرة التكامل المعرفي بين العلوم التي تعرف بالوحي، والمبادئ والمنطلقات العقدية الإسلامية والمقاصد الشرعية العليا، وعلوم الاستخلاف والعمران والإصلاح، فقد التزمت إدارة الكلية بالسياسات الآتية دعماً وتعزيزاً لذلك التصور والمفهوم:

#### 1 - تقسيم الميادين والتخصصات العلمية

تم تقسيم الميادين المعرفية بكلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية عند افتتاحها 1990م إلى مجالين، هما: معارف الوحي الإسلامي والتراث والعلوم الإنسانية. وكانت العلوم المدرجة تحت الفئة الأولى تُدار من خلال قسم واحد يحمل اسم معارف الوحي والتراث الإسلامي، ولكنها منذ نوفمبر 1996م تم توزيعها إلى أربعة أقسام، هي: قسم الدراسات القرآنية والحديثية، وقسم الفقه وأصول الفقه، وقسم أصول الدين ومقارنة الأديان، وقسم الدراسات العامة.<sup>(39)</sup> أما أقسام العلوم الإنسانية، فهي منذ إنشاء الكلية: قسم الفلسفة، الذي أدرج في قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بوصفه تخصصاً داخلياً في هذا القسم الجديد منذ نهاية عام 1996م، وقسم العلوم السياسية، وقسم علم النفس، وقسم علم

(38) ابن نصر، محمد. "تأصيل العلوم الإنسانية والاجتماعية: أما أن لهذه الازدواجية أن تنتهي؟"، مجلة إسلامية المعرفة، ع43-44، 2006م، ص121-122.

(39) Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, *Departments of Islamic Revealed Knowledge and Heritage – Undergraduate Handbook 1996/97*, (International Islamic University Malaysia).

الاجتماع، وقسم التاريخ والحضارة الإسلامية، وقسم الإعلام، وقسم اللغة العربية وآدابها، وقسم اللغة الإنجليزية وآدابها، وقسم التربية، وقسم المكتبات، وقد تطور قسما المكتبات والتربية اللذان كانا يمنحان درجات علمية فوق الجامعية إلى كليات مستقلة في نهاية العقد الأول من عمر الكلية، ثم انتهى الوضع بكلية التربية عام 2003م - ولأسباب تتصل بسياسات وزارة التعليم الماليزية- إلى مركز يُعرف بمعهد التربية والتنمية البشرية.<sup>(40)</sup>

وكانت الفكرة من إنشاء قسم مستقل للفلسفة بالكلية، بالإضافة لمنح الدرجة العلمية الجامعية والدرجة العلمية فوق الجامعية، أن يضطلع بمهمة صياغة المنهج التوحيدي للمعرفة (Tawhidic Approach)، والنظرة الكونية، وأخلاق التفكير ومنهجيته،<sup>(41)</sup> بوصف أن التكامل المعرفي بين مجالتي معارف الوحي والتراث، والعلوم الإنسانية يتطلب التنظير في هذا الاتجاه، غير أن هذه الفكرة لم تعد واضحة بعد التقسيم المشار إليه.

إن هذه الأقسام المختلفة، التي قامت عليها كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية، من وجهة نظر واضعي مخطط الكلية، تختلف عن الأقسام النظرية لها في الجامعات المحلية في ماليزيا، وفي الجامعات الإسلامية الأخرى، من حيث المادة العلمية التي تقدمها هذه الأقسام، ومن حيث الفلسفة التي اتبعتها في منح الدرجة الجامعية الأولى، القائمة على فكرة التخصص المزدوج؛ فقد اتبعت إدارة الكلية كما ذكرنا -منذ عامها الأول- سياسة قوامها التخصص المزدوج، ووضعت مبادئ نظرية عامة

---

(40) للوقوف على التطورات التي شهدتها كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية في عقدها الأول، انظر التقرير الآتي الذي أعدته الكلية في العام 2003م، بطلب من مركز البحوث:

- Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, University Manuscript, File reference Sa/mu/office.

(41) *IIU Model Of Islamic Studies: The Case of The New Kulliyah Of Islamic Revealed Knowledge And Human Sciences*, p. 131.

لتحويل فلسفة الجامعة إلى واقع ملموس في بنية المنهج الدراسي بالكلية، وفي أوجه النشاط المختلفة، وذلك في سبيل الحفاظ على الرؤية التوحيدية للمعرفة، التي تحمي تقسيم الميادين المعرفية السابقة من الارتداد إلى فلسفة أحادية المعرفة، التي تسعى الكلية إلى نقضها من خلال تبنيها فلسفة التكامل المعرفي.

## 2 - إسلامية المعرفة الحديثة وبناء مناهج الدراسة الجامعية

لم تنطلق تجربة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية في صياغة مناهجها في العلوم الإنسانية من مبدأ "الصفير المعرفي"، ولم تنظر للعلوم الحديثة على أنها شرٌّ كلها، بل على النقيض من ذلك؛ إذ تبنت مبدأ نقد الفكر الغربي وإصلاح مناهجه، وقبلت الأخذ الواعي والإفادة من التراكم المعرفي الذي أنتجته التجربة الغربية، وذلك في سبيل المحافظة على المستوى العلمي للكلية بالمقاييس العالمية والإسلامية. فقد نظر واضعو المناهج في أقسام الكلية المختلفة إلى تطوير المادة الدراسية، التي يتلقاها الطالب في كل حقول الدراسة من منظور إسلامي، على أساس أنها عملية تطويرية مستمرة "تعتمد على معرفة الطالب بكل ما يقدم إلى نظرائه من مادة علمية في الجامعات المدنية، مضافاً إليها تقويم إسلامي ناقد، وعرض لما نضج من وجهات النظر الإسلامية في المجالات المطروحة؛ ليشكل المنظور الإسلامي إضافة علمية لها وزنها الأكاديمي، مما سيؤدي إلى زخم علمي رزين في المجالات العلمية، يُمكنه مع مرور الوقت من إثبات مصداقيته وتطوير مجالاته بما يخدم مصالح الأمة بشكل حقيقي في المجال المعرفي، ويقدم بدائل فكرية وعلمية في المجالات العلمية والحياتية المختلفة." (42)

وهذا المبدأ النظري في بناء المنهج تطلب بناء المنهج بشكل مفتوح؛ إذ

(42) المرجع السابق، ص129.

كان يؤمل أن يحتل فيه الأستاذ الجامعي دوراً بحثياً أساسياً يقوم من خلاله بمهام التأليف والمراجعة للكتب الدراسية، وهو مبدأ يتطابق مع خطة المعهد لإسلامية مناهج الدراسة الجامعية؛ إذ يبدو أن مصممي مناهج كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية قد استصحبوا الأسس النظرية الآتية:

أ - إذا تعرّض الأستاذ الجامعي المسلم، والقادر، والمتمكن في تخصصه، للإشكال، فإنه قادر على الاستجابة، وإعادة صياغة تخصصه من منطلق التكامل المعرفي.

ب - إن التراكمات التي قدمها المعهد خلال أكثر من عشر سنوات سبقت هذه التجربة من الأبحاث، والندوات، والمؤتمرات، تكفي لإعطاء رؤية تحقق الغاية المنشودة من التكامل المعرفي.

ت - إن التراث الإسلامي، بثرائه وغناه في عهد ازدهار الحضارة الإسلامية، يضاف إليه جهود حركات الإصلاح والتجديد، فيه من العطاء ما يوفر ويسدّ حاجة الباحث أستاذاً كان أو طالباً.<sup>(43)</sup>

### 3 - الأستاذ الجامعي وطبيعة الإصلاح المطلوب

تُعَدُّ قضية الأستاذ الجامعي القادر على الإسهام في الإصلاح الفكري المنشود، إلى جانب قضية المعرفة الإسلامية، من التحديات الأساسية التي واجهت تجربة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية. وقد شرعت إدارة الكلية في التصدي لقضيتي الأستاذ الجامعي والمعرفة الإسلامية، من منطلق أنهما يتطلبان التخطيط الطويل، وتأسيس تقاليد تُرشد الممارسة العملية اليومية في اتجاه بناء الكوادر البشرية، والنماذج المعرفية المنشودة. ويمكن

(43) البرزنجي، جمال، مقابلة بتاريخ 10 نوفمبر 2002م. تمت بغرض إعداد أطروحة الدكتوراه المنشورة

في:

- إبراهيم، التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية، مرجع سابق.

الإشارة هنا إلى بعض الجهود التي بذلت لتوجيه أعضاء هيئة التدريس، وتفعيل قدراتهم الفكرية وتسخيرها للمشروع المعرفي الذي تبنته الكلية.

وتعدُّ الترتيبات الإدارية الآتية - عند البرزنجي - أهم الجهود التي بذلتها إدارة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية، لتأهيل أعضاء هيئة التدريس، وتفعيل جهودهم للإسهام في مشروع التكامل المعرفي الذي تبناه الكلية:<sup>(44)</sup>

أ - سلسلة مكثفة من الندوات، وحلقات التدريب، والنقاش لهيئة التدريس؛ للخروج بنماذج تتبنى الرؤية المطلوبة.

ب - الاعتماد على مجموعة من القراءات في كل تخصص؛ لسد الفراغ المعرفي الذي تسبب فيه انعدام الكتب المنهجية الإسلامية. فهناك قراءات مهمة وتراكمات معرفية تمت في السنوات العشر التي سبقت هذه التجربة في الأبحاث، والندوات، والمؤتمرات وسواها.

ت - الدورات وما عُرف بـ (Trip Camp) أو الدورات الاعتكافية، والمعاشية المباشرة بين أهل الدراسات الإسلامية والاجتماعية؛ لتمكينهم من التحدث بلغة موحدة أو لغة يفهمها كل من الطرفين. ومثّلت هذه الدورات والمخيمات زاداً معرفياً كبيراً.<sup>(45)</sup>

ث - استحدثت الكلية برنامج دبلوم في معارف الوحي الإسلامي والتراث لأساتذة العلوم الإنسانية، ودبلوم العلوم الإنسانية لأساتذة معارف الوحي الإسلامي والتراث؛ لترسيخ مفهوم التكامل المعرفي.

(44) البرزنجي، مقابلة بتاريخ 10 نوفمبر 2002م، مرجع سابق.

(45) تمثل لقاءات جزيرة بانكور أهم اللقاءات التي نظمتها الكلية في هذا الصدد. انظر تقريراً عن هذه اللقاءات في:

- Moten, Abdul Rashid, "Integrating Revealed Knowledge and Human Sciences." Pangkor I & II (1-6 November 1996, and 8-12 September 1997), *Intellectual Discourse*, Vol. 5, No. 2, (1997), p. 191-201.

#### 4. السياسات اللغوية

تمشياً مع السياسات التعليمية بالجامعة،<sup>(46)</sup> أولت الكلية قضية لغة التدريس اهتماماً عظيماً؛ لأن اللغات هي أداة الفكر والإصلاح المنشود، وأنه "كلما كانت أداة الأداء قادرة وميسرة كان نجاح الأداء أوفر حظاً وأكبر".<sup>(47)</sup> فبنيت الكلية اللغتين العالميتين: العربية والإنجليزية وعدتّهما لغتي التدريس؛ اللغة العربية في مجال معارف الوحي والتراث، واللغة الإنجليزية في مجال الدراسات الإنسانية. ولأن لكل طالب تخصصين: رئيساً وفرعاً، فعليه أن يجيد هاتين اللغتين. ومن وجهة نظر مدير الجامعة آنذاك، فقد تم اعتماد هاتين اللغتين للتدريس للاعتبارات الآتية:

أ - تُعدُّ اللغة العربية لغة القرآن ولغة المعرفة الإسلامية التراثية، وإجادتها توفر للطلاب سبل الوصول إلى منابع هذه المعرفة، كما أنها لغة التواصل الوجداني الإسلامي بين أبناء الأمة.

ب - تُعدُّ اللغة الإنجليزية، في هذه المرحلة التاريخية التي تضعف وتقل فيها المادة العلمية والتقنية في اللغة العربية ولغات الشعوب الإسلامية، لغة المعارف العلمية والتقنية المعاصرة، وإجادتها توفر للطلاب فرصة التفاعل والتواصل مع الصفوة الفكرية، والثقافية، والعلمية، والسياسية في هذه المرحلة، في جل بلاد الأمة الإسلامية.

ت - بهاتين اللغتين (العربية والإنجليزية) تصبح لخريجي الكلية القدرة على التأثير الفكري والعلمي والوجداني في بلادهم؛ إذ يصبحون مصدراً لإنماء الفكر

---

(46) تُعدُّ اللغتان: الإنجليزية والعربية لغتي التدريس بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، وهي سياسة سارت عليها هذه الجامعة دون الجامعات المحلية الماليزية الأخرى؛ لأن إنشاءها لم يتم تحت قانون الجامعات الحكومية. فقد أنشئت هذه الجامعة تحت قانون الشركات، الذي وفر لها مرونة في اتخاذ سياسات خاصة.

(47) أبو سليمان. إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق: الجامعة الإسلامية العالمية نموذجاً، مرجع سابق، ص 134.

والمعارف في مجتمعاتهم، ومجالات أدائهم.<sup>(48)</sup>

وقد وُضعت خطط وسياسات دراسية صارمة لضمان تحويل هذه الفكرة إلى واقع ملموس، فقد اشترط اجتياز الطالب امتحانات تحديد المستوى في اللغتين: العربية والإنجليزية قبل بداية دراسته في البرنامج الذي يقبل فيه بالكلية، وهي سياسة عامة في كل كليات الجامعة. كما صُممت مقررات تُعنى بتدريس هاتين اللغتين لأغراض أكاديمية. وعلى الرغم من كل الترتيبات التي تمت في هذا الصدد، فإن قضية لغة الدراسة بالعربية والإنجليزية ظلت من أكثر المشكلات التي واجهتها الكلية.

وقد دعت هذه السياسات -كذلك- بتأمين وحدة لتنظيم شؤون الطلاب ونشاطهم وبرامجهم التربوية غير الصفية، لاستثمار طاقاتهم واكتشاف مواهبهم وتوجيهها.<sup>(49)</sup> كما دعمت فكرة التكامل بسياسات تزويد المكتبة بكتابات غير موجهة أيديولوجياً، بحيث يتاح في المكتبة أدبيات شاملة تغطي كل الميادين والمجالات العلمية التي تتيحها الجامعة، بصرف النظر عما تحمله من أفكار ومفاهيم وتصورات.

خاتمة:

ارتبط الإصلاح الفكري عند الدكتور عبد الحميد أبو سليمان بالمساعي المنشودة لتفعيل الرؤية العقدية البناءة (بعد تجليتها وتوضيحها) من جهة، وتحقيق التفوق الفكري الفعال (ثمرة للتخطيط) من جهة أخرى، وهو إصلاح يُعول فيه في الأساس على التربية والتعليم ومؤسساتهما، على أمل أن "تستقيم تربية الفرد المسلم وتستقيم نشأته وتكوينه النفسي." ولا شك في أن الذي لا

(48) المرجع السابق، ص 135.

(49) انظر معلومات أوفى عن فلسفة النشاط الطلابي في تجربة هذه الجامعة في: - أبو سليمان. إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق: الجامعة الإسلامية العالمية نموذجاً، مرجع سابق.

يدرك هذا المنطلق في كتابات الدكتور عبد الحميد لن يصيب الرمية في فهم طروحاته الفكرية، وكذا تجربته في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يجب أن ننوه بأن قضية المصطلح وضبطها لم تأخذ حظها من الاهتمام في كتابات الدكتور عبد الحميد ومحاضراته، فهُمّه الأول ظل يتوجه إلى مضمون ما يبشر به من أفكار إصلاحية، وإلى تقعيد تلك الأفكار في أطر مؤسسية تتيح لتلك الأفكار قدراً من الاستدامة، وإلى دعوته عدداً من العلماء والمفكرين - من خلال المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية - إلى تبني تلك الأفكار وتطويرها. وبناء عليه يستحق أن يوصف بأنه "رجل عمل"، يغلب عليه هاجس الإصلاح المؤسسي الذي شغله عن التفرغ، لتقعيد أفكاره الذكية التي ضمنها رؤاه الإصلاحية المثبوتة في كتاباته ومحاضراته تقعيداً علمياً محكماً. وهي الملاحظة ذاتها التي يمكن تعميمها على مؤسسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الذي ظلت قياداته مشغولة بهمّ التبشير بالإصلاح في أرجاء المعمورة، في الوقت الذي يخلو فيه المعهد من هيئة للباحثين المتفرغين لتطوير رؤى المعهد الإصلاحية، وتقعيدها، وإدماجها في مجالات العلوم المختلفة.

كذلك يجب الإقرار بأن التحولات التي أحدثها أبو سليمان في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا خلال السنوات العشر التي قضاها مديراً لها، لم تكن محل تأييد تام من بعض أعضاء الهيئة التدريسية في تلك الجامعة، ولا في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، وقد أحدث ذلك أثراً سلبية على تطوير الفكرة وتنفيذها، وعلى مسار التجربة إدارياً وعلمياً. ولذلك لنا أن نتساءل عن إمكانية تطبيق فكرة ما قبل اكتمال بسط تصورها النظري على جماعة علمية عريضة لتتبناها! خاصة وأن تلك الجماعة العلمية هي التي يعول عليها في تطوير المحتوى الدراسي، ومن ثمّ المادة العلمية المطلوبة التي تترجم تلك الفكرة. وهذا يذكرنا بالتحفظات التي كان يبديها أبو سليمان على مقترح الفاروقي للاهتمام بالقضية التعليمية، وتأسيس جامعة تُعبّر عن رؤية المعهد، وذلك منذ السنوات الأولى

لمسيرة المعهد، فقد كان أبو سليمان يومها يؤكد أهمية إحداه قدير مناسب من التراكمات العلمية، التي تُعبّر عن رؤيته في إصلاح الفكر بوصفها خطوة أولية ضرورية تسبق إنشاء تلك المؤسسة التعليمية. والحال كذلك، فإن تجربة المعهد في تلك الجامعة في ماليزيا قصد بها يومها الاستجابة لطلب وزير التعليم الماليزي الدكتور أنور إبراهيم، واستثمار تلك الفرصة لتطوير مشروع المعهد المتعلق بتقديم نموذج يتجاوز الازدواجية التعليمية وثنائية التقليد والتحديث العلماني.